مدينة رندة الاندلسية فى عهد بنى مرين
بين النص التاريخى والوثيقة الدبلوماسية
أثارها الباقية: جامعها الكبير – رجالاتها ...

دكتور/ عبد الهادى التازى
عضو أكاديمية المملكة المغربية
وعضو المجامع العربية

تقديم كتاب:

مدينة رندة الاندلسية فى عهد بنى مرين بين النص التاريخي والوثيقة الدبلوماسية أثارها الباقية: جامعها الكبير – رجالاتها* ...

لقد كان فى صدر الحوافز التى حركتنى لمراجعة (رندة) إغفال طائفة من الباحثين وفى صدرهم المهتمون بتاريخ الأندلس من المؤرخين المعاصرين ممن قالوا عنها فى الموسوعات الإسلامية بالغات الأجنبية: "لم يكن لها شأن يذكر أيام ملوك بنى مرين إن أثارهم فيها ظلت وراء الظل " مكتفيا بالقول :" إنها (أى رندة) غدت مدة من الزمن إقطاعا لبعض المتنفذين ..."

ومنذ أيام الصبا كنا نحفظ – بالمدرسة الحرة – شعرا لأحد رجالاتها: أبى البقاء الرندى رثى الأندلس[1] فى نونية كنا نستدر بها العبرات فى بعض المناسبات، ولم نكن نعرف أن هذه النونية هى التى كانت وراء نجدة السلطان أبى يوسف بن عبد الحق ...

وقد شعرت أيضا وأنا أزور رندة فى أول رحلة إلى أوروبا فى صيف 1952 بحمولة تلك القصيدة الرائعة فى ذاكرة الناس، وحمولة صاحبها أيضا الذى حرك الجيش المغربى نحو الأندلس![2]

وقد اكتشفت اليوم – وقد عزمت على مراجعة تاريخ المدينة – أن نقطة البداية فى هذا التأليف ستكون من هذه النونية ومن صاحبها أبى البقاء الذى نصب نفسه للاندلس!

لقد حل أبو البقاء ببلادنا المغرب، وفد أدلهم الأمر فى الأندلس، عندما سمع الناس أن ملك غرناطة يتنازل عن عدد من المواقع والحصون، ويفوت عددا من القواعد الأندلسية أملا فى جعل حد لأطماع قشتالة ...

حل ببلادنا لاسيما وقد سمع عن ملك جديد من نمط جديد، اسمه أبو يوسف بن عبد الحق أول ملك من دولة بنى مرين.

لقد تناثر العقد فى الاندلس وأخذت تنهار يوما عن يوم مما استحقت معه الرثاء... ولم يكن غير أبى البقاء راثيا، ولم يكون غير شعره معبرا عن الأسى، وهكذا ورد يحمل رسالته الشعرية التى يقول فيها:

---

* أهدى هذا البحث إلى استاذى الكبير الدكتور أحمد مختار العبادى عميد الدراسات الاندلسية وفارسها المبجل، تحية تقدير وإكبار لما قدمه من عطاء جم لكل الذين كانوا يتطلعون لمعرفة تاريخ الفردوس المفقود ...

يـا أيها الملك البيضاء رايتـه أدرك بسيفك أهل الكفر، لا كانوا !!
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة كانـها فى مجال السبق عقـبان!
أعندكم نبا من أهل أنـدلس فقد سرى بحديث القـوم دكبان[3] !

وصول ابى البقـاء للمغرب " سفيرا عن نفسـه"! مصحبا بقصيدته، هما معا كانا وراء تفكير السلطان فى " القضية الاندلسية"، وقد وجدنا أن وفدا رسميا من الاندلس ياتى إلى مراكش عام 674 = 1275، ينضم إلى أبى البقاء[4].

جرت المفاوضات الأولى:

والمهـم هنـا أن نـذكر بالاتفاقيـة التـى تمـت بـين الملكـين، حـوالى هـذا التاريخ، وكانت تقضى بتنازل ملك غرناطة لملك المغرب عن (رنـدة) لتمكنـه من مسـاعدة الأنـدلس، ولـيس (رنـدة) وحـدها ولكن كذلك طريـف، والجزيـرة الخضراء.

وهكذا نجد أن الخارطة الجغرافية للمغرب تمتد ابتداء من هذا التـاريخ لتشمل مدنا أخرى فى جنوب الاندلس هى رندة وطريف والجزيرة الخضراء.

لقد أصبحنا نجد اسم (رندة) يتصدر المراسلات الدبلوماسية المغربيـة مع الجهات الاجنبية وكذا الاتفاقيات التى يعقدها المغرب مع الدول الاخرى.

ولقد كـان من أبـرز مـا شـاهدته هذه السـنة، وبالضـبط يـوم 15 ربيـع الأول 674 الموافـق 9 شـتنبر 1275 المعركـة الكبـرى التـى عرفـت باسـم المكـان الـذى وقعـت فيـه وهـو اسـم اسـتيجة (Ecija) التـى ردت الاعتبـار للمسلمين فى الاندلس بعد نكسة العقاب عام 609 -1212.

وهذه هى المعركة التى كانت مصرعا لقائد جيش ملك قشـالة وصـهره دونونـة DENOUNA بل وعلى مصرع العدد الكبير من انصار نونـو، لدرجـة أن المقـاتلين المغاربـة اتخـذوا علـى مـا قيـل مـن كومـة رؤس القتلـى مأذنـة صعدوا عليها لأذان العصر!! وهى المعركة التى اكتسبت العاهل المغربى من الأن لقب المنصور!

ولقد بعث السلطان أبو يوسف إلى العدوة المغربية برسالة يشرح فيهـا ظروف الموقعة ومـا أنتهت إليـه من نصر بـاهر، فعملت المفرحـات وقرئـت الرسـالة المـذكورة علـى المنـابر، وفـى صدرها منبر جـامع القـرويين بفـاس، ونشـرت رايـات قشـتالة منكسـة فـى أعلـى منـار الجـامع المـذكور، وجـامع الكتبيين بمراكش، ليشاهدها الحاضر والبادى. على حد تعبير المصادر ...[5]

فى أعقاب هذه المعركة سمعنا لأحد الشعراء يقول فى جملة ما قال هذا المطلع:

هبت بنصركم الرياح الأربع وسرت بسعدكم النجوم الطلع
واستبشر الفلك الأثير تيقنا أن الأمور على مرادك ترجع!!

ولابد لنا أن نذكر هنا من جهة أخرى، أن هذا النصر الذى أحرز عليه السلطان أبو يوسف كان باعث ريب من لدن ملك غرناطة الذى أخذ يخاف من أن يفعل به ما فعله المرابطون بالمعتمد ابن عباد ...! هنا وجدناه يمد اليد على ملك قشتالة، بل أنه يمد اليد، مع قشتالة إلى يغمراسن أمير المغرب الأوسط حلف ثلاثى ضد أبى يوسف!!! من حسن الحظ أن الحلف الثلاثى لم يدم طويلا ...

وعلى تفئة هذا حدث أن ثار الأمير دون صانش Don Sancho على والده الفونص العاشر وأزره معظم النبلاء واستطاع أن ينتزع العرش لنفسه مما دفع والده المخلوع الى السلطان أبى يوسف بن عبد الحق ...

وهكذا أرسل غرة المحرم 681 = أبريل 1282 سفارة مؤلفة من عيون الأحبار على مراكش تحمل رسالة تطلب إلى العاهل المغربى المدد والعون ضد ولده فاستجاب السلطان أبو يوسف لصريخه وعبر البحر فى قواته إلى الأندلس فى ربيع الثانى سنة 681 = يوليه غشت 1282 حيث هب الفونصو إلى استقباله على مقربة من مدينة (رندة) موضوع حديثنا حيث رهن عنده تاج أجداده الذى تبقى لديه، فأمده السلطان بمائة الف دينار من الذهب الخاص ...

وقال ابن خلدون عن هذا التاج الذى كان ذخيرة عند أسلاف الفونصو العاشر: "وبقى بيدهم فخرا للاعقاب لهذا العهد"[6]

ومن المهم أن نذكر هنا بحدث دبلوماسى بالغ الأهمية، ويتعلق الأمر بالرسالة التاريخية التى أرسلها العاهل المغربى وهو مقيم فى استيجة الى ملك فرنسا فيليب لوهارد يطلب إليه أن يصالح الفونس العاشر ويغير موقفه منه ...

كانت هذه المراسلة تحمل تاريخ 20 رجب 681 = 24 أكتوبر 1282، وقد حررت بعد أن تحسس أبو يوسف أن ألفونس اشتكى إليه من موقف ملك فرنسا إزاء ثورة ولده عليه.

ويحق للدبلوماسية المغربية أن تعتز بهذا الخطاب الذى أرسله ابو يوسف إلى العاهل الفرنسى والذى حصلت على صورته من متحف الارشيف الوطنى بباريز تحت رقم 200[7]

لقد كان من عبارات العاهل المغربى: "فإن أصابكم ما غير خاطركم من قبل الملك المذكور أو غير خاطره من قبلكم فنحن نضمن لكم زوال ذلك حتى تعود المودة على أكمل ما تقر به العيون".

وقد عثرت بين وثائق باريز على مرسوم ملكى (ظهير) للسلطان أبى يوسف يزكى هذا الخطاب الصادر من الملك المغربى إلى الملك الفرنسى، وهو أى الظهير يحمل نفس التاريخ الذى يحمله الخطاب المشار إليه.

ولم يقف الحديث عن رندة فقط على عهد أبى يوسف المنصور الذى أدركه أجله بالجزيرة الخضراء يوم 22 محرم 685=18 مارس 1286 على مقربة من المدينة الجديدة التى بناها (البنية La Pena)[8] قبل أن ينقل إلى مقابر بنى مرين بشالة الرباط.

كما ولم يقف الاهتمام فى عهد ابنه أبى يعقوب بن يوسف، ولكنه تجاوز ذلك إلى أيام السلطان أبى الحسن الذى نجد ابن فضل الله العمرى يتمنى له طول العمل من أجل أن يتم أعماله الكبرى هناك على ما سنرى.

وقد امتد الاهتمام برندة إلى ايام السلطان أبى عنان الذى اذن بزيارة الرحالة المغربى ابن بطوطه إلى المنطقة المغربية بالاندلس قبل الوصول إلى أراضى مملكة غرناطة.

رندة من خلال النصوص التاريخية:

تقع مدينة رندة فى جنوب الأندلس إلى الشمال من الجزيرة الخضراء، على ارتفاع أربعمائة وألفى قدم من سطح البحر ... وتقوم وسط مدارج جبلية مترامية الاطرا عند حافة هضبة صخرية.

وقد جعل منها موقعها الفريد قلعة طبيعية منيعة ... الأمر الذى حمل كل الذين كتبوا عنها حملهم على أن يصفوها بانها من أهم المعاقل [9]

وقد كانت معروفة قبل وصول العرب على المنطقة، تحت أسم أروندا Arunda الأسم القديم عند الرومان، وقد عرب الأسم إلى رندة.

وقد كانت المدينة فى عهدة الخلافة الأموية بالاندلس (معقلا) لإقليم تاكرنا الواسع، وإن معظم الذين تحدثوا عن رندة لاحظوا أن وصف المصادر العربية لها كان شحيحا، ومع هذا لابد أن نذكر أن فى صدر التأليف التى

قدمت لنا مدينة ندة، كتاب قلائد العقيان للفتح ابن خاقان (ت 528=1134) ...

لقد قدم لنا نصا أدبيا جميلا فى وصفها ... ذكر شلالها العظيم الذى كان له دوى كالرعد، وتحدث عن الوادى الذى يزيدها فى الحضانة والامتناع، وتحدث عن حماتها الذين لا يتركون مجالا للغزاة ... أحد معاقل الأندلس الممتنعة، وقواعدها السامية المرتفعة، تطرد فيها على بعد مرتقاها، ودنو النجم من ذراها، عيون "لا نصبابها دوى" كالرعد، القاصف أو الرياح العواصف، ثم تتكون واديا يلتوى بجوانب المدينة التواء الشجاع، ويزيدها فى التوعر والامتناع، وقد تجونت نواحيها وأقطارها، وتكونت فيها لباناتها وأو طارها، لا يتعذر لها مطلب، ولا يتصور فيها عدو وإلا علقه ناب أو مخلب [10]

وقد لاحظنا باستغراب شديد. أن الجغرافى المعروف الشريف الإدريسى فى (نزهة المشتاق) اهتم بذكر موقع جغرافى فى اسيا يحمل اسم (رندة) دون أن يلتفت إلى رندة الاندلسية التى كانت قريبة منه .. !

إن القيام بجولة فى المدينة يجعلك تحس بماضيها الإسلامى لأنها، فعلا، وبالرغم مما لحقها من تغييرات وتبديلات ما تزال تحتفظ بالعديد من اثار العهد الإسلامى ...

ومن المفيد ان نعرف ان بعضا من رجالات الأندلس أولوا اهتمامهم للتعريف ببعض الكورات الاندلسية لذكر تلك المواقع ودورها الاجتماعى والحضارى عبر التاريخ. حيث نجد علياً بن موسى بن سعيد يخصص فى موسوعته "المغرب فى حلى المغرب" [11] كراسة هامة سماها الكتاب الاول, وجعل لها عنوانا هكذا: (كتاب المعنى فى حلى مدينة تاكرنا TAKURNA)

وبعد ان يذكر ان (تاكرنا) كانت بالذات قصبة هذة (الكورة) قبل ان تخرب – وقد عرفنا ان رندة نفسها معقلا لتاكرنا – يذكر من رجالها الافذاذ امثال محمد بن سعيد الزجالى البربرى النفزى ...

قال: وكان اول من استكتبه الخليفة عبد الرحمن الاوسط (ت 238=852), وذكر ابن حيان ان سبب سعادته ان الخليفة عبد الرحمن عثرت به دابته وهو سائر فى بعض الاسفار فكاد يكبو على وجهه فتمثل بقول الشاعر: وما لاترى مما يقى الله اكبر.

وطلب الخليفة صدر البيت فلم يوجد إلا فى حفظ هذا البربرى النفزى!

وقد ذكر ابن سعيد أيضا من شخصيات تاكرنا ابا عامر الذى نعته ابن بسام بأنه كاتب مجيد وان والده كان من اعيان الدولة العامرية ....

وقد كان من ابرز من ذكرهم ابن سعيد من رجالات تاكرنا العالم الاندلسى المعروف عباس بن فرناس الذى ظهر, اول ما ظهر, ايام الحكم بن هشام الملقب بالربضى (تـ206=822) والذى وصف بانه حكيم الاندلس الزائد على جماعتهم بكثرة الأدوات(Accessoires) وبيته معروف فى بربر تاكرنا TAKURNA, وكان فليسوفا حاذقا, وشاعرا مفلقا مع اطلاعه على علم التنجيم ....

وعلاوة على ما ذكره ابن سعيد عن (تاكرنا) فى تاليفه السابق الذي نعته بالكتاب الأول, أتى بكتاب ثان يحمل عنوانا هكذا: (كتاب الزبدة فى حلى معقل رندة).

وقد اقتبس ابن سعيد فى موسوعته (المغرب ى حلى الغرب) من كتاب القلائد سالف الذكر كما انه نقل عن (المسهب فى أخبار المغرب) للحجارى قوله: انها اى رندة معقل تعمم بالسحاب وتوشح بالأنهار العذاب ...

وبنقل ابن سعيد عن والده موسى بن سعيد ان ابا الفتح بن فاخر التونسي حدث له بها وحشة, فقال شعره الذي أوردته بعض التأليف المهتمة بالأدب الاندلسى.

قبحاً لرندة مثلما * قبحت مطالعة الذنوب!

ومن تعلق ابن سعيد بمعقل رندة انه لم يكتف بالبحث عن المنتسبين اليها كبلد, بل انه اخذ يفتش عنهم باوصاف الوظيفة قضاة واطباء وشعراء ...

وهكذا ترجم للقاضى الكاتب ابى القاسم اخيل بن ادريس الرندى الذى نعرف ترجمه له فى (تاريخ المن بالامامة) لابى مروان عبد الملك ابن صاحب الصلاة المتوفى 594=1198 [(12)].

وقد كان ممن ترجم لهم ابن سعيد من اهل رندة من الاطباء وضمن كتابه نجوم السماء فى حلى العلماء, الياس بن صدود اليهودى الطبيب الرندى, كان ايضا ممن ذكرهم الحجارى فى المسهب, وقال: انه كان فى صدر المائة السادسة, وانشد له شعرا على ماسنرى.

والى جانب الاطباء والعلماء ترجم ابن سعيد للشاعر حبلاص الرندى الذى قال عنه: انه كان شاعرا برندة لا يؤبه به لاختلال عقله, وكان ساقط المهمة لا يتعدى صلة الدرهم والدرهمين الى ان حل برندة احد رؤساء الملثمين (المرابطين) فمدحه بقصيدة كافأة عليها بأكثر مما كان يتوقع الى اخر الحديث.

وزيادة على الكتابين حول (تاكرنا) (ورندة) حرر ابن سعيد كتابا ثالثا حول الكورة الرندية ويتعلق الامر باضافة جديدة عن حصن من حصون رندة يحمل اسم (انده) الذى ينتسب اليه ابو بكر محمد بن عمر الاندى الذى يحكى ابن سعيد فى (المغرب) انه قرا معه على ابى على الشلوبين امام نحاة المغرب وانه شاهد منه ذكاء مفرطا قال:ولو ان الامد طال فانه سيستولى على المدى!

ولكى تكتمل الصورة عن الزعامة السياسية فى اقليم (تاكرنا) واعمالها وعلى راسها(رندة), نرجع الى ابن عذارى المراكشى فى كتابه" البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب"

حيث نقرأ فى الجزء الثالث حديثا عن دولة هلال بن ابى قره المكنى بابى نور, وهو هلال ابن ابى قرة بن دوناس الايفرانى صاحب تاكرنا واعمالها: هلال هذا بويع برندة بعد موت ادريس بن على بن حمود الادرسى عام ست واربعمائة[13] ...

وقد خصص العالم الجغرافى الشهير زكرياء القزوينى (رندة) فى تاليفه المفيد (اثار البلاد واخبار العباد) بمعلومات غير مسبوقة اعتقد انه استقاها من محيى الدين ابن عربى حين اجتمع به فى دمشق عام 630هـ =1223م وتحدثا معاً عن الاندلس ولا سيما عن نخلة اشبيلية.

نرى الفائدة إيرادها هنا حيث يذكر انها مدينة حصينة بأرض الأندلس من أعمال تاكرنا قديما, استجلبت اليها المياه من ناحية الشرق, وناحية الغرب فتوافى الماء فى داخلها.

ويوجد بها (نهر رنده) وهو نهر يتوارى فى غار لا يرى جريه اميالا ثم يخرج الى وجه الأرض...

وبها (نهر البرادة) وهو نهر يجرى فى اول الربيع الى اخر الصيف, فإذا حل الخريف يبس الى اول الربيع من العام القابل.. وهو على فرسخين من (رندة) ...

حديث ابن مرزوق عن رندة

أيام السلطان أبى الحسن المرينى

ويذكر ابن مرزوق التلمسانى (ت781=1379) فى كتابة (المسند الصحيح الحسن, فى مأثر ومحاسن مولانا ابى الحسن) [14] ان أخبارا وصلت العاهل المغربى المذكور عن رجل من الإبطال المجاهدين برندة له أولاد زهاء عشرة, وكلهم فرسان مجاهدون فوجه عنه فاشخص, فلما حضر سأله عن حاله, فاخبره بانه الفقر واتعبته القلة, فقال له؟: كفيته! وامر لحينه بكسى ومراكب على عدد أولاده, واعطى كل واحد منهم مائة دينار ذهبا, وأعطاه بلدا يسوغ له فوائده ومجابيه, واعطاه داراً اشتريت له, وكسوة اهله, واخدمه خدماً وكتب له بمرتب له مشاهرة وببراءات متشابهة وسوغ لأولاده محترثات على عددهم, واعطاه بعد ان اغناه وارضاه ديناراً مرينياً mryini .... رايته بعد صدوره من الخضراء بزمان وهو يحمله معه, وسمعت انه كان يضعه بين يديه فى كل صلاة ويدعو, وامسى بعد الاملاق, من كبار الاغنياء برندة فعلا صيته وصاهر له كبار اهله ...

ولا نودع ابن مرزوق فى "المسند" دون ان نذكر ماقاله عند الحديث عما قام به العاهل المغربى السلطان ابو الحسن مع المجاور له صاحب قشتالة [15]

قال ابن مرزوق وهو شاهد عيان:

ومدينة رندة, والبلاد الدائرة بها الراجعة اليها والى جبل الفتح, حماها الله تعالى جار عليها المرتبات الوافرة, وقد باشرت يقول ابن مرزوق العطاء فيها سنه, وقد تطوفت عليهاً, وكان ذلك شأن مولانا فى كل سنه يوجه من يتطوف عليها.... وتوجه معى كتاب الجبل ورندة.فقضينا العجب من كثرة ما يخرج عنه كل سنه, ووصلت الى الصخرة (يعنى صخرة عباد)... ووقفت على الحدود بين المسلمين والنصارى وسمعت شكايات أهل الملتين ...

وفى بلد رندة من أثار البناء المحدث عن أمره والمعاقل المحصنة والأبراج الشامخة والآبار المعينة والزوايا والخانات وسائر البلاد الأندلسية الراجعة, فاحضرها, وألحقها بالحواضر المعتبرة.... وأما ما أجازه الى الأندلس مع الزرع فلا يحصى قدره.

قال: وقد كان من سنه ولاية المولى أبى سعيد والده ان المراكب لم تزل تترى, وتتعاقب شفعا ووتراً, فى كل فصل, من القراقير والمراكب والغزوات والقوارب والشوانى, كراءً وشراءً, صيفاً وشتاء, الى سنه 749

هـ فله فى كل حصن من الحصون ومعقل من هذه المعاقل عدة مخازن, ينضم الى الزرع ما يحتاج اليه من الادم, ويفتقر الى ادخاره من الحبوب وسائر الأقوات, وما يحتاج اليه فى عمل الآلات من الخشب والحديد والنحاس والرصاص والقصدير والجلد والجبن والشحم والزيت للتأدم مما اذا رآه الناظر يعجب مما يجتمع من ذلك المقدار مثل هذا المقدار فى المعمور[16].

ابن فضل الله العمري

وقبل ان يزور ابن بطوطة الديار الاندلسية كتب عنها عام 749=1349 رحالة اخر ينتمى للديار المشرقية حيث قدم لنا فكرة مفصلة عن العدوة الأندلسية واصفا الجهد الذى بذله السلطان ابو الحسن المرينى فى سبيل ازدهار تلك البلاد وبخاصة الأقاليم التى كانت تحت تصرفه بمقتضى الاتفاقية الثنائية السالفة الذكر.

والطريف فى "مسالك الإبصار فى ممالك الأمصار" [17] انها تنقل معلوماتها أحيانا عن السفر الأول المفقود من معلمه ابن سعيد المسماة (المغرب فى حلى المغرب) سالفة الذكر.

لقد قال العمري عن بنى مرين: انهم لم يزالوا فى الاندلس يشددون على الفرنج حملاتهم.... وهو اى العمري يستعمل عبارة البحر الشامى متجنبا كلمة "الرومى" ! ويقصد بها الى البحر المتوسط باصطلاح اليوم.

قال: وله (اى لأبى الحسن) بالأندلس الجزيرة الخضراء ورندة ومربلة... وبقية الأندلس لولا جيوشه هناك لما بقيت! وقد كان على ملكها للفرنج فى كل سنة اربعون الف دينار, فمنذ اجال بالاندلس خيله قطع تلك القطيعة وأنعش بها رمق الإسلام...

وعندما يتحدث العمرى عن غرناطة يتذكربردها القارس, وبشهد بقول ابن صارة الشنترينى الأصل, الالميرى الوفاة عام 517=1123, بقول ابن صارة دون ان يعلق على ما جاء فى الشعر الذى يقول فيه:

احل لنا ترك الصلاة بأرضكم وشرب الحميا وهو شىء محرم!

فراراً الى نار الجحيم لأنها ارق علينا من شلير[18] وارحم!!

لئن كان ربى مدخلي فى جهنم ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم!!

واذا كنا نسمع عن اصحاب الكهف فى عمان (الاردن) او فى جهات اخرى فان العمرى يفترض انهم فى لوشة. Loja

ويلاحظ ان العمرى يقسم البلاد الاندلسية الى بلاد ساحلية وبلاد داخلية , وهو يستحضر تين مالقة الفريد من نوعه والذى يشيد به ايضا ابن بطوطة.

وبعد حديثة عن جبل طارق وتعميرة من لدن السلطان ابى الحسن واتخاذه قاعدة لجنده داعيا لابى الحسن: والله يحمى هذا الملك لإكمال ما شرع فيه... من غزو الفرنج واستعادة الاسلام منهم وينصره النصر المؤزر, ويفتح عليه الفتح المبين.... الى ان يقول عن رندة مايلى:

ومن البلاد الكبار غير البحرية رندة, وهى والجزيرة والجبل ومربلة وما والاها تحت يد صاحب بر العدوة السلطان ابى الحسن, أحسن الله اليه مراعاته, وبين رندة والجزيرة الخضراء مسيرة ثلاثة ايام, وهى جبلية كثيرة الفواكه والمياه والحرث والماشية وأهلها موصفون بالجمال ورقة البشرة واللطافة[19]

ولابد ان نشير الى ان القلقشندى فى صبح الأعشى استفاد فى حديثه عن الأندلس وبخاصة عن (رندة) استفاد استفادة كاملة من ابن فضل الله العمرى.... ولو إنهما معا أهملا الحديث عن المدينة العظيمة التى أنشأها السلطان ابو يوسف بن عبد الحق المسماة" البنية".... أنشاها الى جانب الجزيرة الخضراء التى كانت ايام زيارة العمرى بيد النصارى أعادها الله يقول العمرى...

ابن بطوطة فى رندة 752 = 1351

من حسن الحظ أن نجد شهادة للرحالة الكبير ابم بطوطة عن مدينة (رندة) التى كانت وقتها تابعة لمملكة فاس، تابعة للعاهل المغربة السلطان أبى عنان فارس ابن أبى الحسن ...

لقد كان تنتقل ابن بطوطة هذه المرة على خارج المغرب ليس على نحو ما كان نحو المشرق قبل نحو من ثلاثة عقود، إن تنقله أى ابن بطوطه اليوم كان، على ما أعتقد – بأمر من السلطان أبى عنان الذى كان يعيش ظروفا دقيقة مع والده الذى – كلنا يعلم – أقصى من لدن ولده[20]

وستبقى مع ابن بطوطه فى (رندة) التى زارها الرحالة ومكث بها نحواً من خمسة ايام وعاد على طريقها إلى المغرب بعد أن واصلته الأميرة بهارة والدة أبى الحجاج يوسف ابن إسماعيل[21] بعدد من الدنانير الذهبية " ارتفق بها ابن بطوطة" على حد قوله فى رحلته.

وصف ابن بطوطه مدينة رندة بأنها من أمنع معاقل المسلمين وأجملها وضعا، وكان سائر الذين كتبوا عن موقع رندة سواء قبل حديث ابن بطوطه أم بعده، كانهم لم يجدوا تعبيرا صادقا عن حقيقة المدينة إلا أنها معقل جيد صعب المنال، وبالتالى حصن منيع يصعب فتحه على الذين يحاولون التغلب عليه ... ما يفسر بالواضح أن المؤشر الأول الذى كان وراء سقوط الجزيرة الاندلسية برمتها هم الاستيلاء على رندة، وهكذا فبمجرد سقوطها عام 1485 تليها مالقة عام 1487 على أن تتبعها غرناطة عام 1492 ...!

ولكن الملاحظة التى اثارت الانتباه بصفة لافتة هى أن الرحالة الذى تعودنا منه طوال جولاته السابقة، أن المكان الأول الذى ينال منه اهتماما كبيرا لوصفه والحديث عن أطرافه وجنباته، هذا المكان هو المسجد، هو الجامع ... وقد لاحظنا، وابن بطوطه يأخذ طريقه إلى الاندلس – أنه يتحدث عن مساجد جبل طارق ... وسنرى أنه – وهو فى مالقة، يتحدث عن

وقد قدم لنا ابن بطوطه القائد السياسى للمدينة على ذلك العهد الذى كان هو الشيخ أبا الربيع سليمان ابن داود، العسكرى الذى يعتبر من اقرب الرجال الثقاة إلى السلطان أبى عنان على ما يذكر ابن الاحمر فى روضة النسرين.

وبعد الحديث عن القائد الذى بيده أمر المدينة يقدم لنا ابن بطوطة قاضيها الذى كان، بالصدفة ابن عمه الفقيه أبا القاسم محمد يحيى بن بطوطه الذى سنذكره كذلك ضمن معجم الشخصيات التى كانت لها صلة برندة، معتمدين فى ذلك على ما عرفناه عن هذه الأسرة من خلال كتب التاريخ ...

إلى جانب هذين الرجلين التقى ابن بطوطه بالفقيه القاضى الأديب أبى الحجاج يوسف المنتشاقرى (نسبة إلى منتشاقرة (Montejicar) الذى ضيف ابن بطوطه فى بيته، والذى نعتقد أنه قاض ثان فى البلدة مما يعبر عن كثرة ساكنى المدينة ونواحيها وحاجتهم إلى تعدد القضاة.

وقد لقى ابن بطوطه بالمدينة أيضا خطيب المسجد الجامع الذى نعته ابن بطوطة بالرجل الصالح والحاج الفاضل، وكناه بأبى إسحاق وسماه إبراهيم المعروف بالشندرج[22] وقد افادنا عن خطيب جامع رندة هذا بمعلومة جد هامة، وهى أن الخطيب المذكور انتقل إلى المغرب، إلى مدينة سلا حيث أدركه اجله ... فلنا معلومة جد " هامة" لاننا اولا عرفنا عن اسم خطيب الجامع الذى كنا نتحرق لمعرفة المزيد من أخباره ... ثانيا لانه أفادنا

عن تنقل هذه الشخصية للمغرب حيث علمنا، فيما بعد. أن السلطان أبا عنان استدعاه – ربما بإيعاز من الرحالة المغربى – لكى يشغل منصب شيخ زاوية النساك على ما سنذكره – عند حديثنا عن معجم شخصيات رندة[23]

ويبدو أن ابن بطوطه كان حريصا على أن يعطينا معلومات أكثر عن الشخصيات العلمية الموجودة فى المدينة حيث ذكر أنه،اى الرحالة لقى جماعة أخرين من الصلحاء الذين كان منهم عبد الله الصفار[24] وغيره ... لقد كانت رندة بالفعل قاعدة من قواعد الاندلس.

قضى ابن بطوطة خمسة أيام فى رندة قبل أن ينتقل إلى مربية (Marbella) ثم مالقة... ولابد أن نؤكد أن عودة ابن بطوطه إلى بلاد المغرب كانت كذلك على (رندة) لكنه لم يقدم لنا عن المدينة ايه كلمة زائدة لا ندرى أساب هذا المرور السريع دون الحديث عن القوم الذين لقيهم وربط معهم علاقات ود وصحبة ولعل لظروف ابن جزى اثرا على هذا الاختصار.

رندة فى معيار الاختبار لابن الخطيب ت 776 هـ

وقد عرفنا عن شهادة العمرى وابن بطوطه لابد أن نلتفت إلى شهادة أندلسى من عيار ثقيل لا يبعد عنها سكنى ذلك هو الوزير لسان الدين ابن الخطيب (ت 779هـ) فى تاليفه (معيار الاختبار فى ذكر المعاهد والديار[25] الذى قال فيه عنها، وكان يتحدث عنها كموقع استراتيجى هام فى المنطقة، وإن من يعرف أسلوب ابن الخطيب لابد أن يزن كلماته واحدة واحدة، ويعرف عن حمولتها وما تعنيه من اسرار.

قال:

"غنها أى (رندة) أم جهات وحصون وشجرة "ذات غصون، وجناب خصيب وحمى مصون، بلد زرع وضرع وأصل وفرع، مخازنها بالبر ماليه، وأقواتها جديدة بالية، ونعمها بجوار الجبل متوالية، وهى بلد أعيان وصدور، وشموس وبدور، ودور أى دور وماء واديها يتوصل إليه فى جدور محكم مقدور":

والاشارة هنا من لسان الدين إلى استعمال "النورية" والناعورة" التى كانت مستعملة انذاك فى الاندلس والمغرب لحمل الماء إلى أعالى الحدائق والحقول.

ويختم لسان الدين شهادته عن (رندة) بمعلومة تاريخية هامة لابد أن تستوقفنا، ويتعلق الأمر بأن (رندة) قبل أن تسقط نهائيا كانت تتعرض للمضايقات والاجتياحات وإلغاءات نظرا لمركزها ...

"إلا أن العدو طوى ذيل بردها، وغصب بنيانها، وكيف السبيل إلى ردها؟ ,اضاق خارجها وخفض معارجها، واعلى طائرها ودارجها[26] فى إشارة إلى أن الروم كان يناوشها بغارته فيثير طيورها فتعلو فى الجو، كما يثير غبار طرقها.

وما تزال المدينة تحتفظ الى اليوم ببقايا بعض الإطلال التي تجعلنا نستحضر أيام الوجود الاسلامى بها مما تهتم به اليوم النشرات السياحية والكتب التاريخية.

سنقف على أثار بعض الأسوار والأبواب التي صمدت إلى اليوم وأصبحت كشواهد تتحدث عن الأمس...

هذا إلى بقايا القنطرة والمئذنة... والحمام العربي الذي يحتوى على بعض عقود متقابلة يعلوها سقف تتخلله كوات للنور...

هذا إلى بقايا بيت الأمير المرينى ابى مالك الذي أطلق على منزل اسم " دار العمالقة" Casa del Gigante.

ولا بد ان نشير إلى أن الأمير أبى مالك هو ابن السلطان أبى يوسف, وهو الذي كان يتخذ من الشاعر المعروف مالك بن المرحل كتابا له...

هذا الى البئر الذي يطلق عليه اسم المنجم MINA

وسنقف على إطلال لما يسمى باب المغاور Puerta de Almogavar

ولا ننسى أن هناك تراثا آخر في (رندة) يذكر فى الوجود العربي لم ينتبه اليه الذين تحدثوا عن (رندة) ويتمثل هذا التراث فى ظاهرتين اثنتين: الأولى الطبيخ في رندة الذي ينزع إلى الطبيخ الذي وصفته مصادر أمس , وكلنا يعرف عن ان المعتمد بن عباد حاكم رندة, في فترة من الزمن, كان ممن أسهم فى صناعة المطبخ, وانه كان يعتمد على نفسه في تحضير طعامه!!

سنقف على صحون فى مطاعم (رندة) تذكر فيما قراناه عن صحن (معبر العجول)! ولابد أن أذكر هنا بصحن ابى العلاء بن عبد المؤمن وقائد الأسطول فى سبته, وبما عرفناه عن المشروبات التي يتخصص فيها الشرايبيون الذين ما زالوا يحتفظون بهذا اللقب في المغرب الأقصى [27].

هذا الى الحديث عن كتب الأغذية وحفظ الصحة, التي سنذكر بعضها عند ترجمة صاحبها محمد ابن إبراهيم الرندى الذي ألف كتاباً حول الموضوع برسم الوزير ابى عمر بن ابى يزيد بن أبى خالد الشريشى[28].

وكان مما أثار انتباهنا ولوع الرنديين بمصارعة الثيران التي كانت رياضةً معروفة بمدينة فأس الجديد عندما قرانا عن مصارعة الأسود والثيران, على ما هو معروف في التأليف المغربية ذات الصلة بتاريخ الأندلس, الأمر الذى يجعلنا نعتقد ان هذه العادة كانت في الأصل مبادرة مغربية وتطورت إلى أن قام الأسبان, أنفسهم بمصارعة الثور عوض الأسد[29].

الجامع الكبير فى رندة ...

فى مقال له بعنوان القصبة الإسلامية[30] رندة (La Acropolis Musulmana de Ronda). فى مقاله ذلك شبه الأستاذ بالباس رندة بالاكروبوليس فى جبال أولامبيس Olympis فى اليونان لارتفاعها وحصانتها ...

وقد خصص الاستاذ المذكور للمسجد الجامع الجامع بضع صفحات كما أنه تحدث عما بقى من ماذنها ...

وعن الجزء الخاص بالمحراب يذكر الاستاذ بالباس أن العقد المحيط بالمحراب يأخذ شكل حدوة الفرس ومتجه للجنوب، واتساعه متر وربع وهو مزخرف بزخاف جصية بها كتابة داخل شريط اتساعه 22سم.

ويرتكز عقد المحراب على تيجان جصية مزخرفة بزخارف نباتية، وعلى جانبى المحراب توجد كتابات عربية على خلفية نباتية، وحتى فى باطن العقد توجد زخارف أوراق وكيزان صنوبر.

قال: وتعد بقايا هذا المحراب متشابهة لامثلة أخرى فى غرناطة، وشمال إفريقيا فى نهاية القرن الرابع عشر الميلادى حيث كانت (رندة) قاعدة من قواعد بنى مرين.

قال بالباس: ومن هنا حدث التشابه الفنى الذى جمع محراب رندة مع أشباهه فى شمال إفريقيا وأكثر المحاريب شبها بمحراب رندة هو محراب مدينة تازة 629 = 1292[31]

ونعتقد حسبما توفر لدينا من بحوث ودراسات أنه كان يشبه على حد كبير، إن لم نقل نسخة طبق الاصل الجامع الكبير بفاس الجديد الذى شيده السلطان أبو يوسف والجامع الكبير.

لمدينة تازة الذى اشتهر بثرياه الكبرى التى لا تختلف كثيرا عن الثريا الكبرى التى رفعها الموحدون بجامع القرويين[32]

ويعتبر الاستاذ بوريس ماسلو Boris Maslow أن الجامع الكبير بمدينة تازة أجمل مسجد بعد جامع القرويين، وهكذا يمكن أن نتصور أن جامع رندة كان على شكل جامع فاس الجديد أو جامع تازة وأن محرابه كان على نمط محراب المسجدين الجامعين، والواقع أن وقفة قصيرة أمام الفنون المتبقية من هذا تقربك كثيرا إلى الفنون الجميلة التى يزدان بها محراب الجامع الكبير فى تازة ... أو فاس الجديد.

نأسف – مرة أخرى – لكون ابن بطوطه لم يحرك قلمه فى (رندة) لوصفه وإلا لكنا أمام شهادة تمكننا من المقارنات بين المسجدين الجامعين ...

ومن حسن حظنا أننا بالنسبة للجامع الكبير فى رندة، الذى عوض بالكاتدرائية (صانطا مارية ليونور)، من حسن حظنا أن أصدقاءنا من رجال الاثار، ربما أشفقوا على ذلك التراث فاحتفظوا لنا ببقايا من المحراب الذى كان للمسجد الاعظم، والذى لا نشك فى أنه من تشييد ملك من ملوك الموجدين ودخلته تغييرات وترميمات من لدن ملوك بنى مرين وخاصة أوائلهم من امثال السلطان العظيم أبى يوسف وابنه أبى يعقوب ...

هذه البقايا من المحراب توجد اليوم عند مدخل "الكاتدرائية" عن اليسار، فى مكان لا يثير الانتباه، لان الجانب المرئى من المحراب هو صورة لجانب ينعكس على مرآة ... وهذا الجانب الذى ينعكس على المرأة ... لا يساعد على الوصول إلى تبيين مكوناته كما يجب التبيين، الأمر الذى حملنا على استحضار السلم الذى مكننا من أخذ صور لجميع النقوش التى تحيط بالمحراب وتعلوه أو تقع جوانبه يمينا أو شمالا ... وربما سنستطيع القول : إن هذه النقوش تعتبر النقوش العربية الوحيدة التى بقيت إلى اليوم فى رندة من غير أن تصل إليها يد المدجنين الذين كانوا يحرفون الايات أحيانا ... وهى النقوش التى نقدمها اليوم باعتزاز كبير لاصدقائنا سواء فى الاندلس أو

فى غير الاندلس ممن يهتمون بهذه الاثار الجميلة الرفيعة شاكرين اللواتى والذين ساعدونا على تحقيق رغبتنا[33]

لقد تكونت لدينا صورة "مركبة" لواجهة المحراب التي أثقلت برسوم هندسية رفعية تحمل رسوما من بينها رسم (محار) استعمله المرابطون والموحدون والمرينون على اقواس الابواب...

وقد كان مما التقطناه مما اكتفت بعض النشرات بنعته بأنه كلمات قرانية , كان مما التقطناه بخط جميل بالمحراب آية الكرسي... "لا اله الا الله هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات والأرض, من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم".

بينما نقشت على جنبات المحراب سورة الإخلاص: قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً احد" وقد نقش على يمين الواقف تجاه المحراب: والاهكم اله واحد وعلى يسار الواقف أمام المحراب بقية الآية: لا اله إلا هو ... وهو ما وجدناه منقوشا في عملة المرينيين.

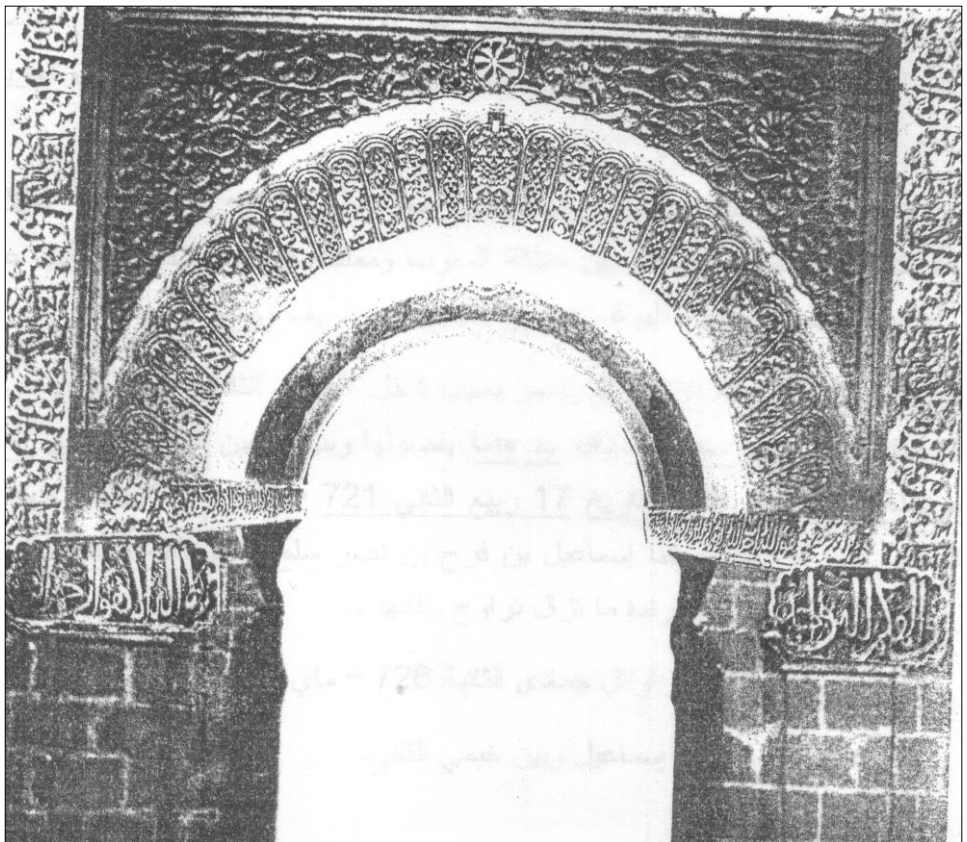

لقد تكونت لدينا صورة مركبة لواجهة محراب الجامع الكبير ب (رندة) التي زارها الرحالة ابن بطوطة عام 751=1351م , لقد اثقلت واجهة المحراب برسوم هندسية رائعة يتوسطها رسم (محار) كان المرابطون والموحدون وبنو مرين يزينون به الأقواس التي طلت طابع المعمار المغربى الاندلسى..

رندة في الوثيقة الدبلوماسية

على عهد بني مرين...

لقد كان من الصفحات المهمة في تاريخ (رندة) (ما يتعلق بصداها في الأرشيف الدبلوماسي سواء منه المغربي او الاندلسى او الاسباني, ولم لا نقول في سائر أوروبا, وهكذا نجد لرندة حضوراً متميزاً سواء فى الرسائل الدبلوماسية لبنى مرين آو في اتفاقياتهم مع الدول الأخرى, وكذا نجد لرندة حضوراً فى غرناطة, أو في الأرشيف التابع للتاج الارغونى, او القشتالى او خارج هذه المناطق.

كذلك فى بيزا إحدى الجمهوريات الايطالية , نجد ذكرها فى الاتفاقيات أو في المخاطبات التي كانت للمغرب مع شركائه, الأمر الذي كان له تفسير واحد وهو ان (رندة) مغربية, وإنها بحكم موقعها الجغرافي, كانت عند الأطراف المعنية مفصلا من المفاصل الهامة فى المنطقة بما تحتضنه من قصور ومواقع ذات بال. على نحو طريف والجزيرة الخضراء.

وقد تم لقاء قمة بظاهر مدينة مربله Marbella أوائل ربيع الأول 685= ابريل/مايو 1286 حيث "سويت" سائر المشاكل العالقة بين مملكة المغرب ومملكة غرناطة حيث تم التاكيد على التنازل لملك المغرب عن بعض المواقع: الجزيرة الخضراء وطريف ورندة...

بيد ان الالتزام بهذه الاتفاقية لم يستمر بسبب تدخل "الطرف الثالث" فى الموضوع ولم نلبث ان وقفنا على اتفاقية سلام وصداقة جد هامة

بفوصولها وبنودها بين الملك إسماعيل الأول ملك غرناطة وبين خيمى الثاني بتاريخ17 ربيع الثاني721=16 ماى 1321 وفيها: ليعلم الواقف على هذا الكتاب اننا إسماعيل بن فرج بن نصر سلطان غرناطة ومالقة والمرية ورندة والجزيرة[34] ما يعنى ان رندة ما تزال تراوح مكانها...

ونفس الموضوع يتكرر أوائل جمادى الثانية 726=ماى1326فى اتفاقية بين [35] ملك غرناطة محمد بن إسماعيل وبين خيمى الثاني.

ويبدو أن فكرة التنصيص في الاتفاقيات والمخاطبات على أن رندة تابعة للطرف المغربي لم تكن تشغل كثيرا بال المغرب, يعتبرها قضية لا تستحق المراجعة.

ومن هنا نلاحظ إن اتفاقية السلام المبرمة مع الأمير يوسف بن أبى الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر بتاريخ (متم ذي القعدة 735=22 يوليه 1333)... والتي تتضمن الأخبار بان العاهل المغربي السلطان أبا الحسن وافق على مضمونها, نلاحظ أن تلك الاتفاقية التي تذكر ان (رندة) تابعة لملك غرناطة لم تزعج كتاب السلطان أبى الحسن...

ولم نلبث ان نرى الكتاب يتراجعون عن التساهل حول هذا الصنيع لذلك نجد ان الظهير (المرسوم الملكى) الذي صدر عن السلطان ابى الحسن بتاريخ15 صفر746=17 يونيه 1347 ينص نصاً على ان اباً الحسن سلطان لمراكش وفاس وسجلماسة ودرعي كما انه سلطان على تلمسان ووهران والجزيزة, وجبل الفتح ورندة...

والى جانب هذا نعت الملك يوسف بن ابى الوليد صاحب غرناطة وما اليها من البلاد الاندلسية, من غير ان ينص على (رندة) التى كان يحتسبها لنفسه!

وقد تميز عهد العاهل المغربي السلطان أبو عنان فارس ابن السلطان ابى الحسن على. تميز بأنه كان حريصا على أن يذكر (رندة) فى خطابته الدبلوماسية, بل وفى الاتفاقيات التي يعقدها مع الدول الأخرى.

ولم يكن ذلك فقط من اجل إشعار الآخرين بامتداد مساحة ملكه, ولكن لمكانة القواعد الأندلسية عنده وخاصة رندة. لا سيما ونحن نعلم انه اى العاهل المذكور هو الذي وجه (1351=752) مبعوثة الرحالة المغربي المعروف ابن بطوطة وجهه لمهمة بالأندلس وكانت رندة المغربية فى صدر المواقع التي قدم عنها تقريراً ما يزال يتمتع بجدته الى اليوم.

والمهم في ديباجة الاتفاقية العنانية الهامة التي تحمل تاريخ 28 ربيع الثاني9=756 ابريل 1358 التى تجمع المغرب بجمهورية بيزا التى تكون قوة كبيرة على ذلك العهد أنها تنص فى مقدمتها على ان سيادة العاهل تمتد الى طنجة وسبتة وجبل الفتح ورندة وما الى ذلك من البلاد الغربية والشرقية.

ولابد ان ننسى جواب السلطان أبى عنان للملكة دونياليونار Donea leonare زوجة سلطان مملكة اراغون التي بعثت إلى السلطان ابى عنان تتوسل إليه أن يعقد اتفاقية سلام وصلح مع أخيها صاحب مملكة صقيلة[36].

في الجواب الذي بعثة أبو عنان نجده يعتز بنعت السلطان بأنه سلطان فاس ومكناس... وبلاد القبلة وبلاد العناب والزاب والجريد ... وسبتة وجبل الفتح ورندة.

وبعد وفاة السلطان أبى عنان وقفنا على مراسلة للسلطان أبى سالم إبراهيم بن سلطان أبى الحسن موجهة إلى بيدرو الرابع يخبره فيها بفتح تلمسان... وهى بتاريخ 7 شعبان عام 726=24 يونيه 1300.

والمهم عندنا فى هذا الخطاب من ملك المغرب إلى ملك اراغون أن عاهل المغرب يرى من الضروري ان يحلى نفسه بأنه صاحب فاس ووهران والجزائر... وجبل الفتح رندة الخ...

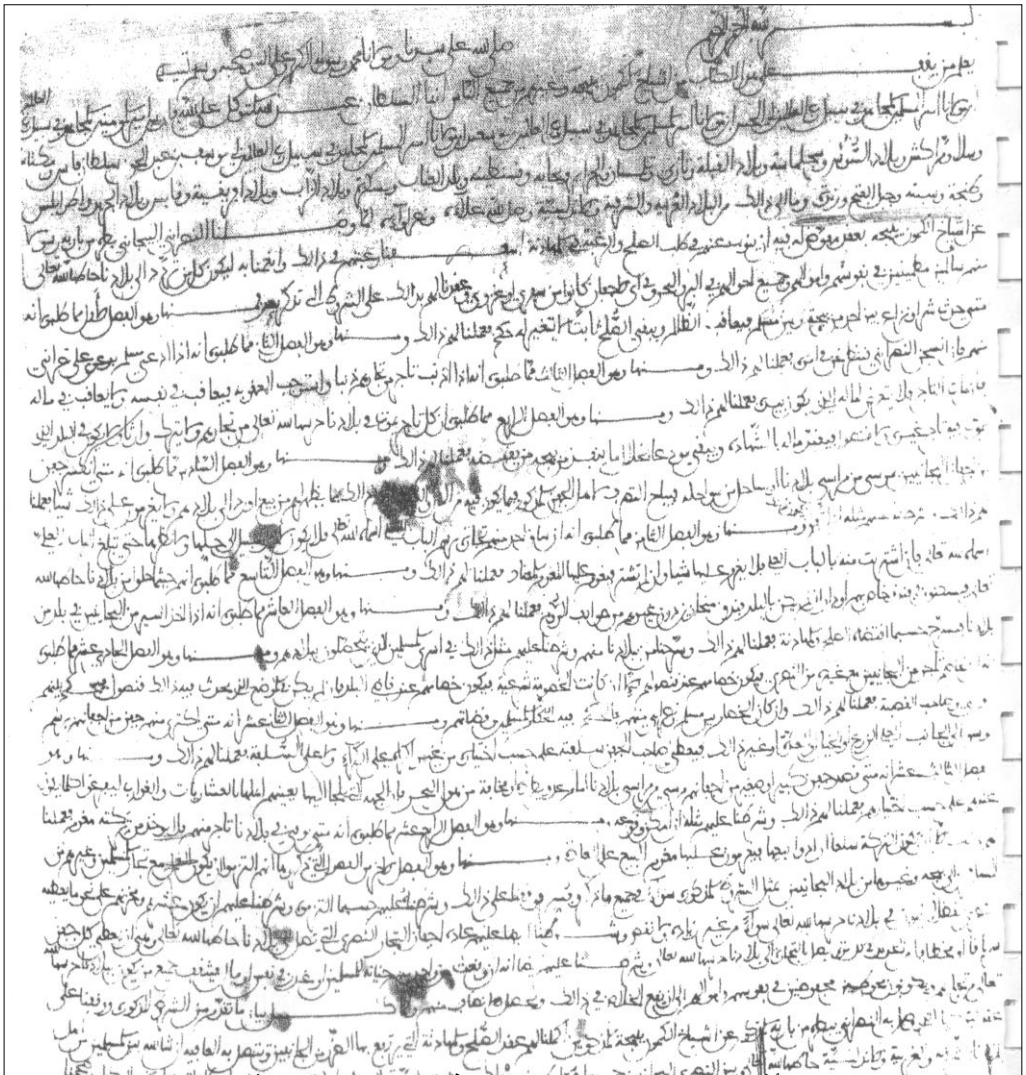

عندما أذن بنو مرين للملك غرناطة المخلوع باتخاذ (رندة) قاعدة له كل الذين يهتمون بتاريخ الأندلس يسمعون عن أيام المحنة التي عاشها سلطان غرناطة محمد الخامس بن أبي الحجاج ابن أبي الوليد بن نصر عندما خلع عن العرش وأمسى يعيش في مملكة فاس إلى جانب سلطانها عبد العزيز ابن أبي الحسن (ت 774 هـ-1372).

وتشاء الظروف فى الأندلس أن تفتح بصيصاً فى الأمل للملك المخلوع ... ويتطوع المحبون والمقدرون – وفى صدرهم ابن خلدون الذي كان قد يصبح الكاتب الخاص للعاهل المغربي – يتطوعون لرفع ملتمس للعاهل

المغربي حتى يسلم للملك المخلوع موضع قدم فيه مدينة (رندة) لتصبح عاصمته ومنطلقا لاسترجاع عرشه, حيث نرى أن العاهل الغربي يوافق على الملتمس... وهنا ستفتح نافذة أخرى على (رندة) وهى تعيش أياما من نمط آخر...حيث نكتشف بعض الرسائل الموجهه إلى محمد المخلوع, كما نكشف عن البريد الصادر عنها من الملك المخلوع بما فى ذلك مخاطبات ذات طابع دولي...

وقد حبب إلى أن اهتم بآثار هذا الملك المخلوع فى رندة... بما في ذلك القصيدة اللامية الطويلة التى وجهها اليه لسان ابن الخطيب وهو في رندة قبل ان يمن الله عليه باسترجاع غرناطة...[37]

وأمامنا نبذ من تأليف ابن الخطيب حيث جعل هذا المخلوع من على بن يوسف بن كماشة كاتب ديوانه... وهو الذى استدعاه ملك قشتالة وكان له معه حديث في حصن (الصخرة) المعروف ... ومن رندة اخذ الملك المخلوع يخطط لاسترجاع ملكه...[38]

معجم بعض رجالات رندة حسب الترتيب الابجدى المغربي

وبالرغم من وجود عشرات الأسماء ضمن هذا التأليف رأيت من المفيد ان اذكر هنا عددا من الأسماء التي لها علاقة برندة, فيها اسم الرجال والنساء, وقد خصصت لبعض هؤلاء تراجم تقصر أو تطول, محيلاً على المصادر والمراجع وخاصة كتابنا هذا عن رندة.

ابن إبراهيم

شخصية لامعة من أهل رندة تنتسب للحقل الطبي, وهو صاحب كتاب الأغذية الذي أهداه للوزير أبى عمر ابن الشيخ يزيد بن أبى خالد الشريشى, مخطوطة هامة تحتضنها الخزانة الملكية بالرباط.

من رجال القرن السابع, وقد افترض زميلنا الراحل الأستاذ محمد العربي الخطابي رحمه الله ان يكون ابن إبراهيم هذا من أهل القرن التاسع, الأمر الذي نستبعده ونعتقد انه يرجع إلى القرن السابع.

لقد سقطت رندة – كلنا يعلم – فى جمادى الأولى 890= ابريل 1485. ولم يعلم في هذه الفترة عن طبيب فى حجم ابن إبراهيم , ولم نعلم عن وزير خطير فى وزن أبى عمرو الذي يدعو له المؤلف ابن إبراهيم: أدام الله لهم علو المكان وموافقة الزمان...[39]

أخيل ابن إدريس

القاضي والكاتب أبو القاسم اخيل ابن إدريس الرندى... كتب فى فتوته للمرابطين ثم كتب لمن أتى بعدهم إلى أن تحول إلى بلده للنظر لأهله وولده... وكان له اتصال بالمتنفذين في الدولة وكان ممن مدح الخليفة عبد المؤمن في جبل طارق بقصيدة: ما الفخر إلا فخر عبد المؤمن...[40]

الاركونى

تحدث عنه ابن الحاج النميرى فى مذاكراته التي نشرها المستشرق الزميل دوبريمار DE PREMARE , قال رأيت الشيخ أ العباس احمد بن يوسف بن احمد ابن يوسف... التجيبى, ويعرف بالاركونى, وهو من رندة, وذكر لى انه ينظم الشعر بالطبع, وخبرت منه ذكاء وحدة ذهن...

وتشير الترجمة الفرنسية الى بعض أبيات تتضمن شكر قاضى (قصر المجاز) أبى زيد... وبضعة أبيات أخرى فى الحكم[41]

الازدى

أبو على عمر بن عبد المجيد الازدى المعروف بالرندى, روى عن ابى القاسم السهيلى وبه تفقه, واخذ عن غيره بمالقة وغرناطة, وفى قرطبة واشبيلية اخذ عن ابى بكر بن الجد, واخذ بسبتة والجزيرة الخضراء عن ابن عبد الله, وكان ممن أخذ عنهم ابو عبد الله الحميرى الاستجى... وكان مما نعت به انه فى رندة من جملة المقرئين وجهابذة الاستاذين على حد تعبير ابن الآبار فى "التكملة". ورد اسم هذا الشيخ فى فهرسة الشيخ أبى زكرياء يحي السراج...[42]

الأسرى إمام المسجد الجامع

هذا عبيد الله بن عصام... الاسدى إمام جامعها الكبير والخطيب به, يكنى أبا الحسين, روى عن أبى بكر بن الجد... وأبى الوليد بن رشد وأبى زيد السهيلى وأبى القاسم بن جيش وغير هؤلاء كثير... وقد كان من أهل العناية بالرواية, واخذ عنه الكثير وأجاز الكثير...[43]

الأسرى

أبو الحسن بقى خلف الاسدى , ذكره أبو طاهر السلفى, بني له العادل مدرسة في الإسكندرية فأقام بها إلى أن توفى عام576=1180 , ذكره في

تأليفه (معجم السفر)... وقال عنه: انه كان يتردد على بعد عودته من الحجاز...ذكر هذه المعلومة ياقوت الحموى فى معجم البلدان مادة رندة.

الاشعرى القاضي

عبد الله يحيى ابن ربيع الاشعرى ويكنى أبا القاسم.

كان من اعالى القوم, عمل فى رندة قاضيا... وخطب في جامعها أديب وكاتب وشاعر وفقيه واصولى... اشعري المذهب والنسب كذلك ملتزم بمذهب الإمام مالك...

اخذ عن أبيه أبى عامر, وعن الخطيب أبى جعفر بن يحيى الحميرى, وعن الأستاذ ابى الحسن بن خروف, روى مع هؤلاء عن القاضي أبى القاسم بن بقى وأبى محمد بن حوط الله... أدركه اجله في السابع عشر من شوال عام 666[44]

الأندى

ورد فى ترجمة أبى بكر بن عمر الاندى (نسبة الى موقع جغرافي فى منطقة رندة وهو غير الموقع الذي يحمل اسم حصن اندة من عمل بلنسية) ورد في ترجمته انه لما ذكر في مجلس بعض الرؤساء بحضرة السلطان أبى الحسن, وكثر التناء عليه وعمر المجلس بشكره, بلغه ذلك فاطرق ساعة ثم قال وكأنه يتحدث بنعمة الله عليه:

لا تذكرن ما غاب عنى من ثنا — اطنبت فيه, فليس ذلك يجهل!

فمتى حضرت بمجلس وجرى به — خيرى, فان الذكرى فيه يجمل[45]!

الياس اليهودي

الياس بن المدور اليهودي كان معدوداً من أطباء رندة, وقد كان ينافسه طبيب أخر فى البلدة, وكانت بينهما معارك مهنية على ما هى العادة بين مشتركيه في الصنعة وعن هذه الظاهرة الأزلية قال الياس:

لا تخدعن, فما تكون مودة — ما بين مشتركين امراً واحدا

انظر الى القمرين حين تشاركا — بسناهما كان التلاقى فاسدا!![46]

ابن الأيسر الخطيب

أبو القاسم ابن الأيسر, كان يقوم على خطبة الجمعة, ورد ذكره كأستاذ وكخطيب في ترجمة ذى الوزارتين أبى عبد الله ابن الحكيم الرندى اتى الذكر, وربما كان لهذا اللقب (الأيسر) علاقة بفرع من فروع أسرة بني نصر التى كانت تحكم غرناطة, فرع حمل نعت الأيسر الذي يعرف بالقشتالية باسم اسكيرضو IZQUIERDO ... ونحن نعرف عن سفير مغربي يحمل هذا النعت راح إلى هولندا أيام السلطان مولاي إسماعيل بتاريخ 10 صفر1097=6 يناير 1686 [47]

ابن بطوطة القاضي

هذا غير ابن بطوطة الرحالة, ولكنه ابن عمه ابو القاسم محمد بن يحيى... تلاقيا معا عام 752=1351 فى المدينة, ونحن نعرف عن بيت ابن بطوطة انه بيت علم وقضاء... ونعرف ايضا ان القاضى فى الديار المغربية قد يعمل في فاس وينقل بطنجة او مراكش او رندة كذلك...

وقد وقف فى اكادمية البرتغال على نص ملكية لبعض المخطوطات تحمل اسم ابن بطوطة...[48]

التاكرنى

هذا أبو عامر التاكرنى الذي ذكره ابن بسام فى ذخيرته في عداد الوزراء والكتاب ونعته بالماهر...

وقد اثبت ابن بسام بعض مكاتباته التي تشهد له بالتبريز... وكتب يوماً إلى المنصور حفيد ابن أبى عامر رقعة ضمنها بيت الحطيئة:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسى!!

فأقامت الرفعة المنصور وأقعدته واستحضر التاكرنى للمراجعة, إلى آخر ما ورد في الذخيرة[49]

الثغرى

القائد حامد الثغرى, ابرز المقاومين عن المدينة عندما باغتها الروم فى جمادى الأولى عام 890= ابريل 1485 ايام انتقال الدولة من بنى مرين الى أيام عبد الله محمد الشيخ (876=910) من بني وطاس.

لم يستطع أهلها ان يثبتوا طويلا ليأسهم من تلقى الإمداد السريع ولمفاجئتهم بالانفاط التي كانت تنهال عليهم...

كان سقوط المدينة ضربة قاسية باعتبارها المفتاح... الأمر الذي يفسره انه بعيد احتلال رندة تبعها احتلال مالقة ثم غرناطة على ما هو معروف...

ابن حزب الله

محمد بن محمد بن حزب الله, يعرف باسم جده(حزب الله)... من الذين شاركوا في وقعة طريف على ضفاف نهر سالادو عام 741=1340قدمت به تلك الظروف إلى رندة فتعرف بأدبيها أبى الحجاج المنتشاقرى...

وهنا نقرأ سطوراً رائعة فى تقرير أبى الحجاج ونقف على قطع شعرية تبادلها الرجلان مما يعبر عن وصف الحالة الفكرية والاجتماعية فى رندة التي لم تكن تختلف عن باقي القواعد الأندلسية[50].

ابن حفصون

عمر ابن حفصون, أصله من رندة من كورة تاكرنا, وقد حكي عنه ابن القوطيه (مؤلف تاريخ افتتاح الأندلس) قصصاً طريفة ومثيرة [51]

ابـن الحقـالـة

هذا هو القاضى أبو القاسم ابن الوزير أبى الحجاج ابن الحقالة الذى ذكره ابن الخطيب فى الإحاطة قائلا عنه قوله: أنشدنى الأديب أبو الطيب صالح بن أبى خالد ....

بن شريف الرندى لنفسه ليكتب على قبره:

خليلى، بالود الذى بيننا، إذا مت، قبرى عرضة للترحم! اجعلا

عسى مسلم يدنو فيدعو فإنـى محتاج لدعوة مسلم!![52] برحمة

ابن الحكيم

فى مذكرات ابن الحاج النميرى، قال عن الوزير محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم ابن يحيى، إنه هو المعروف بأبى الحكيم لأن جده كان طبيعيا، وكان الحكيم شيخ رندة، أى واليها، وكان فعلا من أولى التدبير الحسن والسيرة المحمودة.

قال ابن الحاج: لقيته وقد قدم على باب مولانا أيده الله للتحدث فى مصالح رندة فقيدت عنه بعض التقاييد، فى يوم الأحد التاسع لشهر الله المحرم مفتتح عام 745 (344/5/23)[53]

كان ابن الحكيم من الاندلسيين الذين رحلوا إلى مصر والحجاز وبلاد الشام بمعية الشيخ ابن رشيد الفهرى المعروف برحلته. وقد ذكر من اشياخه فى رندة عددا كبيرا من مشايخ منهم أبو القاسم ابن الأيسر، مما يدل على المركز العلمى الذى كان للمدينة على ذلك العهد ...

لقد نال ابن الحكيم كل ما كان يأمله من الرياسة والجاه والاستئثار بإمارة (رندة).

لكن السياسة عودتنا عل تغيير الحال، فلقد ردت الأيام منه ما وهبت على حد تعبير المقرى ... وأتلفت خزانته العلمية التى كانت مرجعا لزوار رندة وقتل يوم خلع سلطانه صحوة عيد الفطر شوال عام 708 = أبريل 1309.

ابـن خـاتمـة

هذا الذى ادخرت له الأقدار أن يرثى رندة بقصيدته الطويلـة العريضـة، هذا هو أبو جعر ابن خاتمة الذى قال عنـها:

أحقا خبا من جو (رندة) نورها فقد كسفت بعد الشموس بدورها
وقد أظلمـت ارجـاؤها وتزلزلت منازلـها ذات العلا وقصورهـا
أحقا، خليلى، أن رندة أقفـرت وأزعج عنهـا أهلها وعشيرها؟
وهدت مبانيها وتلت عروشهـا ودارات على قطب التفرق دورها
وكانت عقابا لا ينال مطارهـا ومعقل عز زاحم النسر صورهـا

إلـى آخـر القصيدة الغراء التـى ورد بعضـها فـى الحلـل السندسـية، والـبعض كاملا فى مجلة الرسالة المصرية[54]

ابن أبى خالص

أبـو عبـد الله محمد بـن أبـى خـالص الرنـدى الشـاعر، أورد المقـرى مـن شعره هذين البيتين:

يـاشادنا برز العذارى بخـــده وازداد حسنـــا، ليتـــه لم يبرز!

الآن اعلم حين جد بى الهوى كم بين مختصـر وبين مطـرز!![55]

الخشـنى

محمد بن عبد الله ... بن سالم الخشنى من أهل رنـدة ... ممـن نـاظروا فـى كتاب سيبويه، كان نحويا لغويا أديبا ... وأعتقد أن أفكار القاضى أبى العبـاس احمـد ابـن مضـاء (ت 592) حـول إصـلاح النحـو وصـلته إلـى رنـدة ... أدركـه أجله فى مالقة، شوال 576[56]

الـدارى

ورد التعريف بهذا الرندى فى الترجمـة التـى عقدها ابن الخطيب لأبـى محمد عبد الله بن سلمون الـذى فقد فـى وقعـة طريـف (7 جمـادى الأولـى عـام 741.)

هنا أفادنا ابن الخطيب أن تكوين ابن سلمون كـان علـى يد جملـة مـن العلماء كان فيهم أبو الحسن الدارى الذى أجازه فى رندة[57].

ابـن داود

أبو الربيع سليمان ابن داود ذكره الرحالـة ابن بطوطـه علـى أنـه كـان قائدا عسكريا لمدينـة رندة عندما مر بها الرحالـة؟، ويعد أبـو الربيـع هذا مـن وزراء السلطان أبـى عنـان ... كمـا كـان وزيـرا لأمير المسلمين إبـراهيم بـن السلطان أبى الحسن[58]

الـرعينى

أبو محمد عيسى بن سليمان بن عبد الله بن عبد الملك المـالقى المعروف بالرنـدى، وقـد وقـع التنويـه بهـذه الشخصـية الفـذة فـى المصـادر الأندلسـية المترجمـة إلـى الإسـبانية، وكـل الكتـاب أجمعـوا علـى أنـه كـان مـن مشـاهير رجالات رندة.

وقد قام الرجل برحلة إلى المشرق حاجـا وهنـاك استوسـع فـى روايتـه، وكان ضابطا متفننا كتب الكثير، وقد أمتحن بالاسر فذهب كثير من تراثه!!

أدركـه أجلـه منـذ ربيـع الأول 632 = 1234[59]. وقـد ذكـرت الباحثـة المغربية د. حياة قارة أن للرعينى كتابا بعنـوان " الجـامع لمـا فـى المصنفات الجوامع".

الرنـدى

أبـو عبـد الله محمد الرنـدة الفقيـه الحـافظ الـذى كـان قيمـا علـى المـذهب المالكى فى رندة وإماما فى اللغة العربية، وقد كان ضمن المتوجهين صحبة الملك أبى الحسن المرينى إلى تونس أدركه أجله هناك عام 746[60]

الرندى صاحب مرثية الأندلس

هذا هو صالح ابن أبى الحسن يزيد ابن صالح بن موسى بن أبى القاسم بن على النفزى من اهل رندة المكنى بابى البقاء وابى الطيب، أدركه أجله سنة 684.

هذا هو صاحب مرثية الاندلس، التى هزت كل الناطقين بالضاد فى العالم الإسلامى، هزت كل اصحاب الضمائر الحية ... وقفنا عليها فى مختلف المصادر

الاندلسية باستثناء ابن الخطيب فى (الاحاطة) الأمر الذى حرك الأستاذ عبد الله عنان محقق الكتاب الذى قال: إن السبب ربما كان يكمن فى أن لسان الدين أغفل ذكرها خوف أن يغضب أصدقاءه بنى الأحمر ولا سيما محمد الثانى الملقب بالفقيه الذى سلم البلاد بالجملة لقشتالة أملا فى أن يسكب أطماع القشتاليين.

وكنت افترضت فى بعض أحاديثى عن أبى البقاء الرندى صاحب القصيدة، اعتمادا على ما ورد فى ديوانه من مقامه بمراكش – افترضت أن يكون السلطان محمد الثانى الملقب بالفقيه بعثه إلى ملك المغرب ليستصرخ بالعاهل أبى يوسف ...

لكن الذى يبدو أنه ورد على المغرب " سفيرا لراسه" ! كما أسلفت يحمل رسالته بعيدا عن الحكم فى الاندلس ...وقبل أن يقتنع هذا الحكم بإرسال الرسل لإعلان الندم والتطارح أمام السلطان أبى يوسف الذى اشترط انذاك للتدخل أن يتم التنازل له عن بعض المواقع التى كان قى صدرها (رندة) والجزيرة الخضراء وطريف على ما أسلفنا ...

والمهم أن نستحضر مرة ثانية وثالثة هذه الرسالة الشعرية الطويلة التى – كلنا يعلم – وجه الخطاب يها إلى الأمراء الزناتيين القابعين وراء البحر، بخيولهم.

ياركبين عناق الخيل ضامرة كأنها فى مجال السبق عقبان !!

الرندى الحفيد

تحدثت بعض المخطوطات عن أحد حفدة أبى البقاء الرندى صاحب مرثية الاندلس، يحمل اسم صالح ابن أبى شريف، وصل على المغرب بعد خروج المسلمين من رندة. وكان هذا الحفيد أديبا ... وانه أعاد إنشاد قصيدة جده بحضره المولى على الشريف[61]

الرندى الفاسى

هذا أبو محمد عبد السلام الرندى أحمد علماء فاس على عهد السلطان المولى إسماعيل، ذى أصول رندية، درس على عبد القادر الفاسى والحسن اليوسى ... كان يقيد كل نازلة يحكم فيها ويعيد النظر حولها[62]

الرندى المقرى

هذا ابو عبد الله المتوفى سنة 746 ورد ذكره عند أبى زكرياء يحى السراج فى فهرسته أكثر من مرة، كما تحدث عنه المجذوب الفاسى فى تذكرة المحسنين وحوادث السنين[63]...

الرندى الراوى

هذا أبو عبد الله محمد بن أحمد الرندى الذى أخذ عن حامل راية الرواية فى شرق الاندلس الشيخ القيسى ... كان يتميز بأنه يختار من يأخذ عنه وينتقى ما سمع منه ... وقد قرأنا عند القاضى العباس ابن إبراهيم أن هذا الرندى كان من جملة الرواة المعروفين عن المكلاتى المتوفى سنة626[64] ...

الرندى النحوى

هذا أبو عبد الله الرندى ورد ذكره فى ترجمة الإمام أبى الربيع سيدى سليمان الونشريسى المتوفى سنة 705 – كان له مجلس علم وأخذ عنه الكثير[65] ...

الرندى البجائى

هذا العالم الرندى انتقل إلى بجاية وبها لقيه الرحالة المغربى العبدرى الحيحى عند مقفله من الحج عام 688-89، قال العبدرى: وكان حين رايته لقى (بفتح الام والقاف بمعنى ملقى على الارض) ما به من حراك لكنه حاضر الذهن[66] ...

الرندى المراكش

هذا الرندى وقعت الاشارة اليه فى كتاب الاعلام للعباس بن إبراهيم المراكش عند ترجمته لبعض رجال العلم القائمين فى علم اللسان نحوا ولغة وأدبا .. [67]

السيدة الرندية

فى حديث ابن مرزوق عن مهمته الرسمية برندة مبعوثا من لدن السلطان أبى الحسن تحدث عن المرأه التى كانت "سيدة أعمال" كما نقول بلغة اليوم ... كانت سواقة تنادى على السلع بالدور فأوصى عليها الامناء ... وهذه لفتة لها دلالتها يما يتصل برندة ...

وفى حديث لسان ابن الخطيب (معيار الاختبار) يلتفت إلى السيدة الرندية فيذكر أن النساء يلبسن الموق على الاملد المرموق، (والموق الخف الطويل تتخذه السيدات إضافة إلى خف أقصر منه سترا لسوقهن!) وقد (التفت ابن الخطيب كذلك على محيا السيدات الرنديات اللاتى يسفرن عن الخد المعشوق، بل إنه يتجاوز هذا إلى وصف ما تخلفه تحركاتهن من نسمات عطرة تنعش قلب المشوق بالطيب المنشوق.

مما يذكرنا فى قول أمرىء القيس:

إذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا فاحت برى القرنفل!

ولا أنسى الاشارة إلى سيدة رندية ساق أخبارها المقرى: سيدة لكثر أناقتها ولباقتها وضبطها لذاتها، قالت إنها لا تحتاج لاكل وشرب ولا مرحاض!! حيث استدعى الحال أن قام العلامة ابن الامام لاجراء تحقيق خاص حولها على نحو ما اهتم بشانها الحكام فاحضروا الاطباء من علماء الملل لفحص أحوالها وتتبع خطواتها ... [68]

الزجـالى

تحدث عنه ابن القوطية أنه من أصل بربرى ذكر أنه الملقب بالاصمعى لقب بذلك لذكائه وقوة حفظه، وذكر أنه من اصل أمازيغى من قبيلة (نفزة) التى تخرج منها كبار الفقهاء والعلماء والادباء على ما هو معلوم، وكان سبب اكتشافه من لدن الامير عبد الرحمن ابن الحكم أن هذا الأخير عثرت به دابته فكاد يكبو ... فتمثل بعجز بيت لم يوجد فى القافلة من يستحضر الصدر منه إلا هذا الامازيغى الاصمعى .. وكان هذا هو السبب فى التزام الخيمة الاخلافية[69]

السمـــار

هذا السمار الرندى ذكره الشيخ يحيى السراج عندما كان يتحدث عن شيخه الحضرمي الذى تحدث عن المسجد الجامع برندة[70]. وما تزال أسرة السمار الاندلسية معروفة بالمغرب ولاسيما فى السلك الدبلومسى ...

الشنـدرج

هذا أبو إسحاق إبراهيم، لقيه الرحالة ابن بطوطه فى رندة ونعته بالخطيب قائلا، إنه توفى بمدينة سلا من بلاد المغرب، وقد ذهبت افترضاتى كل مذهب إلى أن وقفت على ترجمته فى أعلام سلا تحت أسم " سيدى بوحاجة" الذى لم يكن غير إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بوحاجة الأموى الرندى المولود برندة برندة والقاضى بها، استدعاه أبو عنان وعينه شيخا لزاوية النساك عام 557، وهو العام الذى بنيت يه الزاوية المذكورة[71]

السراج القادم

من هو السراج الرندى الذى انتقل من رندة إلى فاس؟

ليس إلا هذا الذى يحمل اسم محمد بن حسن بن يحيى بن عاصم بن القس النفزى الحميرى الرندى الاصل ...[72]

السـراج يحـيى

يذكر الرحالة ابن بطوطه أنه تعرف فى جبل طارق على خطيب الجمعة فى الجبل المذكور أبى زكرياء بن السراج الرندى ونعته بالرجل الفاضل.

وفى تحقيقى لرحلة ابن بطوطه افترضت أن يكون القصد إلى يحيى السراج المحدث الشهير المنعوت بيحيى الاكبر أو الجد أو يحيى الاول

المتوفى عام 805 تمييزا له عن يحيى الحفيد المنعوت بالاصغر أو الحفيد أو الثانى ...[73]

الشعبـانى

محمد بن احمد بن أبان الاشعابى من اهل رنـدة، أخذ القراءات عن ابى مروان عبد الملك بن محمد بن طفيل، تصدر للتدريس برندة[74]

ابن عباد الخطيب

سيدى محمد بن عباد(بفتح الميم) الذى تلقى فى رنـدة سائر معارفـه قبل أن يلتحق بلتمسان وفاس ... كل التاليف تحدثت عن ابن عباد الخطيب، كانـت مدرسـة الصفارين بفـاس أحد مراكـزه العلميـة ... كـان منشـغلا عن الزوجـة والبنين بالطلبة والمريدين!

وقد أفادنا يحيى السراج أنـه لازمـه كثيـرا، ويتسـاءل المـرء وهو يقرأ عن ولوع ابن عباد باستعمال الطيب الذى لا يفارقه[75] ...

بنـو عبـاد

الحديث عن (رنـده) لابد أن يحملنـا علـى استحضـار أسـرة بنـى عبـاد الشامخة فى الاندلس، وسنقتصر فى هذا الموجز علـى الاشـارة بعض منـهم: المعتضد الذى كان من شعره فى رندة:

لقد حصلت يارنده فصرت لملكنا عقده

ومع ذكر المعتضد نذكر جاريته الادبيـة الكاتبـة، وهى التـى بـرزت مـن الناحية اللغوية، وشرحت لنـا كلمـة "الهزمـة" أو الغمـزة التـى تعنـى الفرجـة التى تظهر فى الوجه عند ابتسام بعض الناس ...

ولابد أن نذكر المعتمد ابن عباد ايضا وتعلمه برندة

وجوابا على استنجاد المعتمد بيوسف بن تاشفين قـام العاهل المغربـى بالرحيل إلى الاندلس لينجد القوم، وتطورت الاحداث، وانتهى الامر إلى أن وجدنا المعتمد ابن عباد اسيرا فـى أغمـات حيث وجدنا ابن اللبانـة يقـول فـى جملة ما يقول:

ونحن من لعب الشطرنج فى يـده! وربما قمرت بالبيدق الشـــاة!

فانفض يديك من الدنيا وساكنـها الارض قد أقفرت، والناس قد

ماتـوا!

وقل لعالمها الارضى: قد كتمـت سريرة العــالم العلوى
أغمات!؟[76]

الغافقى

القاضى عبد الله، نسبة إلى غافق بن الشاهد وليس إلى حصن غافق ... لا يفتر عن النسخ والتقييد والمطالعة بالرغم من تقدم سنه، كان من قضاة رندة[77]

ابـن فـرنـاس

كان عباس ابن فرناس التاكرنى هو من استنبط فى الاندلس صناعة الزجاج من الحجارة وكان كثير الاختراع والتوليد وعمل الكيمياء.

ومن المهم أن نذكر فى ترجمته المختصرة هذه أنه احتال فى تطيير جسمه، فكسا نفسه الريش على شقق الحرير ... وتهيأ له أن استطار فى الجو واستقل فى الهواء فحلق مسافة بعيدة حتى وقع.

وكان مما اخترعه عباس بن فرناس المنقانة، أو المكانة، أو الميقاتة لمعرفة الاوقات قدمها على إلى الامير محمد خليفة عبد الرحمن الثانى ...

ولابد أن نذكر هنا أن المملكة المغربية أعطت اسم عباس بن فرناس للقاعة الكبرى لكلية الطيران العسكرى بمدينة مراكش عام 1974[78]

ابن أبى قـرة

هذا هو هلال ابن ابى قرة ابن دوناس الايفرانى صاحب تاكرنا وأعمالها بويع له فى رندة بعد وفاة إدريس بن حمود الادريسى عام 406 ثم خطب له بمالقة وسائر بلاد ريه (اسم قديم لمالقة) ... له قصة معروفة مع المعتضد ابن عباد لكنه لم يلبث أن عاد إلى رندة ... إلى أن توفى عام 449 = 1057، بعد أن أوصى بالملك لابنه فتوح بن هلال ...[79]

ابـن كماشـة

على بن يوسف بن محمد بن كماشة، القائد والوزير والسفير، ورد ذكره وقت الحاجة اليه من طرف السلطان المخلوع محمد الخامس عندما أذن له بنو مرين بالمقام فى رندة حيث اصبح ابن كماشة فى عداد مساعديه ... ولما جبر الله السلطان بالعودة إلى عرشه لحق به إلى أن صرف عن الاندلس، أوليات عام 763[80]

مالك ابن المرحل

كان كاتبا للامير أبى مالك ابن أمير المسلمين أبى يوسف بن عبد الحق وكان عونا شديد المراس لوالده بالمغرب الشرقى قبل أن يستشهد (ابن المرحل هو صاحب الميمنة التى القيت بصحن جامع القرويين فى رثاء الاندلس بعد صلاة يوم الجمعة فأبكت الناس، وتبتدىء هكذا:

استنصر الدين بكم فاستقدموا فإنكم إن تسلموه يسلم!

لا تسلموا الاسلام باخواننا والجموا واسرجوا لنصره[81]

المجريطى

أبو الحسن عبد الرحمن ... يعرف بالمجريطى لان أصله من مجريط MAGERIT[82]، واعتبارا لمكانته العلمية ولى القضاء فى مدينة رندة.

المنتشاقرى

أبو الحجاج يوسف المنتشاقرى نسبة إلى جبل منتشاقر -Monte Sacro وهو من أهل رندة ومن الشخصيات الكبرى التى اجتمع ابن بطوطه فى رندة العالمة، نعته ابن الخطيب بوصف يثير الانتباه كقوله انه توبة الزمان الجم الذنوب!

تولى خطة القضاء برندة وقد ساق المقرى بعضا من شعره فى مدح النبى ﷺ مصدرا – على العادة – بالنسيب لبسط الخواطر النفسانية على حد تعبير الشيخ المقرى!

كانت القصيدة طويلة على قافية القاف وهى أصعب قافية:

هواكم بقلبى ما لمحكمه نسخ ومن اجله جفنى بمدمعه يسخو !!

ولابى الحجاج هذا رسالة بعنوان: قبول الرأى الرشيد فى تخميس الوتريات النوبات لابن رشيد[83]

النفزى

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نصر النفزى المعروف بالرندى لان اصله من رندة، والنسبة إلى نفزة التى كان لرجالها دور قوى فى تكوين المشهد العلمى والثقافى، فى الغرب الإسلامى.

وهى من القبائل الامازيغية، وتنتشر من تونس إلى فاس مرورا بقسطنطينة، وهران، تلمسان الريف[84]

النفزى

هذا هو الشيخ المحدث أبو جعفر أحمد بن أبى القاسم عبد الملك النفزى الرندى. ورد ذكره فى فهرسة الشيخ يحيى السراج عندما ذكر شيخه[85]

هذا السيد من امراء بنى مرين عينه السلطان عثمان بن يعقوب بن عبد الحق عام 711 واليا على رندة والجزيزة الخضراء ...

تذكر الاخبار أنه توفى بعله النقرس ليلة الجمعة 25 من ذى القعدة 731، ودفن فى شالة – الرباط[86]

الهــوامش

[1] لم يكن أبو البقاء ولا أخر من رثى قواعد الأندلس، فقد قرأنا سينية لابن الأبار فى بلنسية، وقرأنا عن مراثى لم يعرف أصحابها ... وقرأنا عن مرثية لابن خاتمة خصصها لمدينة (رندة) ... عبد الرحمن حجى: رثاء الأندلس، مجلة الرسالة المصرية، عام 1935 العدد 132 – شكيب ارسلان رئيس مجمع اللغة العربية، سورية: الحلل السندسية ج 3، ص 548، 1939. وقصيدة الرثاء لابى البقاء الرندى مطلعها كما هو معروف(لكل شىء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان)

[2]

79
80
81
82
83
84
85
86